قصص الأنبياء

يوسف بن يعقوب

عليهما السلام وإخوته

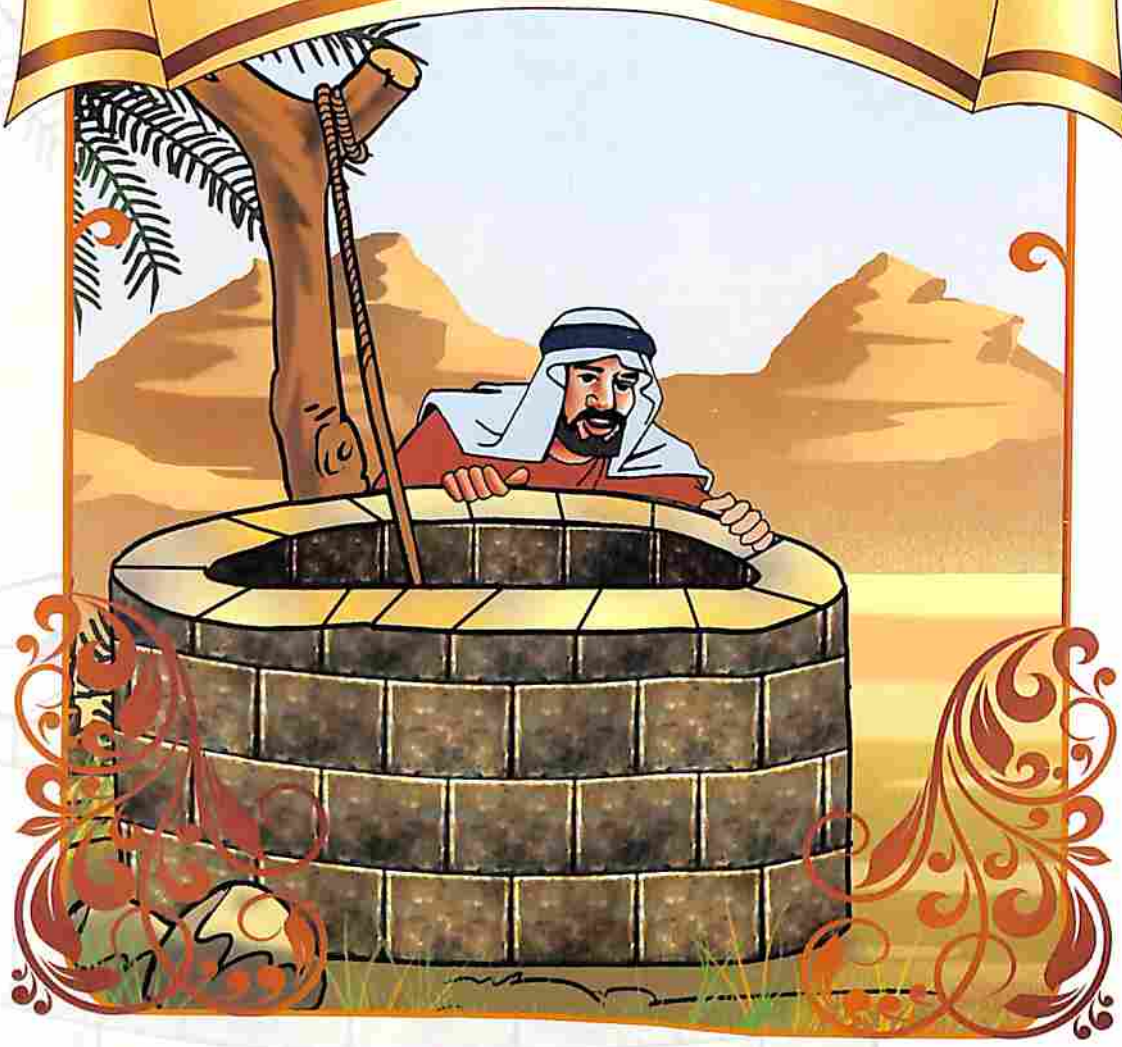

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربي الحديث

يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) وأخوته

تَحَقَّقَتْ بِشَارَةُ اللهِ لإبراهيمَ وَسَارَة وَرَزَقَهُمَا إِسْحَاقَ، وَمِنْ بَعْدِهِ يَعْقُوب.

كَانَ يَعْقُوبُ يَعِيشُ فِي فِلَسْطِين، يَدْعُو النَّاسَ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ فَهُوَ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ اللهِ.

رَزَقَ اللهُ يَعْقُوبَ اثنا عَشَرَ وَلَدًا، وَكَانَ أَصْغَرُهُمْ يُوسُفَ، وَقَدْ مَنَحَهُ اللهُ شَكْلًا جَمِيلًا، وَقَلْبًا رَحِيمًا، وَعَقْلًا رَاجِحًا، وَكَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ «بِنْيامين»، وَقَدْ أَحَبَهُمَا أَبُوهُمَا، وَاعْتَنَى بِهِمَا أَكْثَرَ مِنْ إِخْوَانِهِمَا؛ لأنهُمَا صَغِيرَان، ولاحظَ باقِ الإِخْوَةِ أَنَّ أَبَاهُمْ يُحِبُ يُوسُفَ وَأَخِيهِ أَكْثَرَ مِنْهُمْ.

وَذَاتَ يَوْمٍ رَأَى يُوسُفُ فِي مَنَامِهِ:

{يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } [يوسف : ٤]

عرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّ يُوسُفَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ، فَقَالَ لَهُ: لا تُحدِّث إِخوتَكَ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا؛ حَتَى لا يَحْسِدُوكَ، أَوْ يُدَبِّرُوا لكَ شيئًا.

اِجْتَمَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ذَاتَ يومٍ وَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ سَبَبِ حبِّ أَبِيهِمْ لِيُوسُفَ وَأَخِيهِ أَكْثَرَ مِنْهُمْ رَغْمَ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ، وَهُمَا صَغِيرَانِ لا يَقُومَانِ بِشَيءٍ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ وَأَخَاهُ

أَحَبُّ إلى أَبِينَا مِنَّا.

وَقَالَ آخرُ: إِنَنَا عَشَرَة وَهُمَا اثْنَان، إننا الأَوْلَى بالحبِّ، فكيفَ يُحِبُّهُمَا أَكْثَرَ مِنَّا؟!

وقالَ ثَالثٌ: إِنَنَا الأَكْبَر نَقُومُ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ، نَرْعَى الأَغْنَامَ، وَنَقْضِي المَصَالِحَ.

وَقَالَ رَابِعٌ: إنَّ أَبَانَا مُخْطِئٌ فِي ذَلِكَ.

سَأَلَ الأَوْلُ: وَمَا العَمَل؟ كَيْفَ نَجْعَلُ أَبَانَا يُحِبُنَا مِثْلَهُمَا ؟

أَجَابَ الخَامِسُ: مَا دَامَ يُوسُف مُوجُودٌ أَمَامَ عَيْنَيْ أَبِيهِ فَلَنْ يَنْفَعَ شَيءٌ.

قَالَ الثَّالِثُ: إِذَنْ يَجِبُ أَنْ نُبْعِدَ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ.

قَالَ السَّادِسُ: نَعَمْ، وَلَكِنْ كَيْفَ نُبْعِدُهُ؟

سَكَتَ الجميعُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذَا السُّؤَالِ،

وَبَعْدَ فَتْرَةِ صَمْتٍ أَجَابَ أَحَدُهُمْ:

اقْتُلُوا يُوسُفَ.

قَاطَعَهُ أَخٌ: لَا لَا؛ لَا تَقْتُلُوهُ، فَالقَتْلُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، ابْحَثُوا عَنْ حَلٍّ آخر.

قَالَ أَحَدُهُمْ : عِنْدِي رَأْيٌ آخَر.

صَاحُوا جَمِيعًا: وَمَا هُوَ؟؟

قَالَ: ارْمُوهُ فِي بِئْرٍ بِهِ مَاءٌ قَرِيبٌ مِن طَرِيقِ المُسَافِرِينَ، فَإِذَا مَرَّتْ قَافِلَةٌ تُرِيدُ المَاءَ وَجَدُوهُ فَأَخَذُوهُ، وَبِذَلِكَ يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ.

قَالُوا: هَذَا هُوَ الحَلُ الأَمْثَلُ، وَالرَّأْيُ الصَّائِبُ.

ذَهَبَ الإِخْوَةُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا لَهُ: مَالَكَ لَا تَتْرُكُ يُوسُفَ مَعَنَا؟ أَتَخَافُ عَلَيْهِ مِنَّا؟ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا لِيلعب، وَلَا تَخَفْ عَلَيْهِ فَإِنَنَا سَنَحْفَظُهُ وَنَرْعَاهُ.

نَظَرَ الأَبُ إِلَيْهِمْ، وَأَحَسَ بِمَا يُدَبِّرُونَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّنِي لَا أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِهِ سَاعَةً، فَكَيْفَ تُرِيدُونَ أَخْذَهُ طُوَالَ

النَّهَارِ؟! ثُمَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَغْفَلُوا عَنْهُ بِالْرَعْي وَاللَّعِبِ فَيَأْتِي الذِّئْبُ فَيَأْكُلُهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،

ضَحِكَ الإِخْوَةُ وَقَالُوا لِأَبِيهِمْ: كَيْفَ يَأْكُلُهُ الذِّئْبُ مِنْ بَيْنِنَا وَنَحْنُ عَشَرَة، إِنْ حَدَثَ ذلكَ فَلَنْ تَكُونَ لَنَا فَائِدَةٌ، ثُمَّ أَخَذُوا يُلِحُّونَ عَلَى أَبِيهِمْ حَتَّى وَافَقَهُمْ عَلَى

طَلَبِهِمْ.

وَجَاءَ الصَّبَاحُ فَوَدَّعَ يَعْقُوبُ ابْنَهُ يُوسُفَ وَأَرْسَلَهُ مَعَ إِخْوَتِهِ، وَسَارُوا بِهِ حَتَّى وَجَدُوا الْبِئْرَ التِي اتَّفَقُوا عَلَيْهَا، فَنَزَعُوا قَمِيصَ يوسُفَ، وَأَلْقُوهُ فِي البِئْرِ، فَوَجَدَ صَخْرَةً بَارِزَةٍ فَتَعَلَّقَ بِهَا، وَجَلَسَ فَوْقَهَا.

أَخَذَ الإِخْوَةُ القَمِيصَ وَذَبَحُوا أَحَدَ الأَغْنَامِ وَلَطَّخُوا القَمِيصَ بِالدَّمِ، وَعِنْدَمَا حَلَّ الظَلَامُ رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُمْ يَبْكُونَ وَيَصِيحُونَ،

فَأسرعَ إِلَيْهِمْ يَعْقُوبُ، وَسَأَلَهُمْ: مَاذَا حَدَثَ لَكُمْ؟ وَلِمَا هَذَا البُكَاءُ وَالْعَوِيلُ؟

وَنَظَرَ يَعْقُوبُ فَلَمْ يَجِدْ يُوسُفَ، فَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُوسُف؟

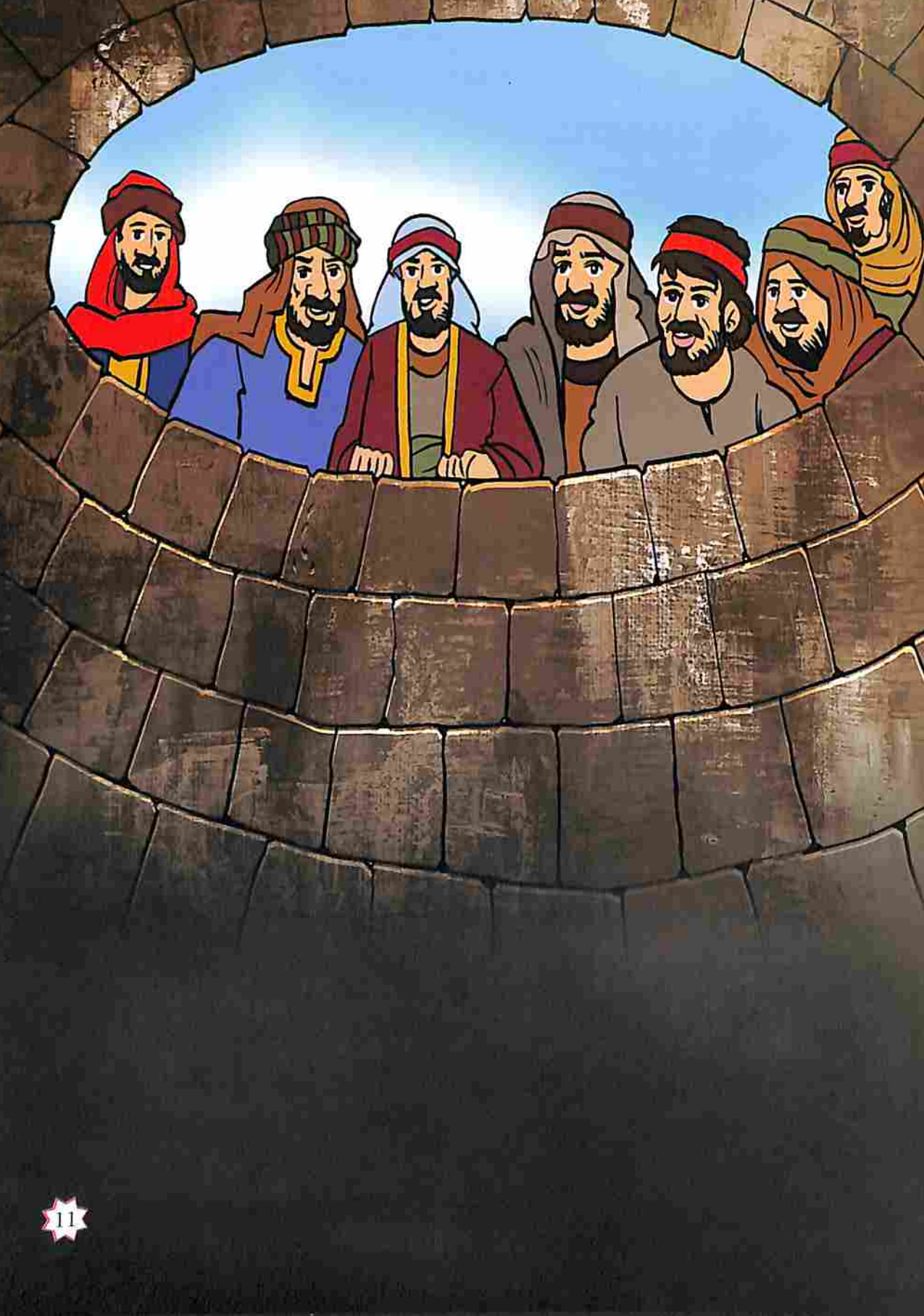

اِزْدَادَ بُكَاءُ الإخوةِ وَهُمْ يُجِيبُونَ: يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَتَسَابَقُ كَعَادَتِنَا، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ أَمْتِعَتِنَا يَحْرُسُهَا، وَعِنْدَمَا عُدْنَا لَمْ نَجِدْ يُوسُفَ، وَوَجَدْنَا ثِيَابَهُ مُلَطَّخَةً بِالدِّمَاءِ؛ فَعَلِمْنَا أَنَّ الذِّئبَ قَدْ أَكَلَهُ، وَإِنَّك لَنْ تُصَدِّقَنَا لأَنَّه قَدْ وَقَعَ مَا كُنتَ تَخْشَى.

وَعَلِمَ يَعْقُوبُ أَنَّ أَبْنَاءَهُ قَدْ كَادُوا لِأَخِيهِمْ، فَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ الْقَمِيص؟

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ مُلَطَّخًا بِالدِّمَاءِ، وَلَكِنَّهُ سَلِيمًا لا يُوجَدُ بِهِ قَطْعٌ وَاحِدٌ، فَعَلِمَ أَنَّ أَبْنَاءَهُ دَبَّرُوا شَيْئًا لأَخِيهِمْ،

فَقَالَ لَهُمْ: لابُدَ أَنَّ فِي الأَمرِ شَيءٌ، وَلَكِنَنِي سَأَصْبِرُ، وَأَسْتَعِينُ باللهِ عَلَى مُصِيبَتِي.

بَقَى يُوسُفُ مُدةً فِي البِئْرِ إلى أَنْ جَاءَتْ قَافِلَةٌ، ومرَّتْ بِالقُرْبِ مِنَ البِئْرِ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَ رِجَالِهِمْ لِيَأْتِي لَهُمْ بِالمَاءِ، وَذَهَبَ الرَّجُلُ، فلمَّا أنزلَ الوِعَاءَ إِلَى الْبِئْرِ تَعَلَّقَ

بِهِ يُوسُفُ، فلمَّا سَحَبَهُ الرَّجُلُ وَجَدَ يُوسُفَ ذَلِكَ الطِّفْلَ الجَمِيلَ،

فَقَالَ: يَا بِشَارَتِي، هَذَا غُلَامٌ جَمِيلٌ. وَذَهَبَ بِهِ إِلَى بَقِيَّةِ القَافِلَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: هَذَا غُلَامٌ وَجَدْتُهُ فِي البِئْرِ. فَقَالَ رَئِيسُ القَافِلَةِ: مِنْ حَقِّنا أَنْ نَأْخُذَهُ، فَحُكْمُهُ حُكْمُ الأشياءِ الضَّائِعَةِ.

وَسَأَلَ أَحَدُهُمْ: وَمَاذَا نَفْعَلُ بِهِ؟

قَالَ الرَّئِيسُ: هُوَ بِضَاعَةٌ، نَبِيعُهُ فِي مِصْرَ حِينَمَا نَصِلَهَا.

وَأَسْرَعُوا بِالرَّحِيلِ، وَسَارُوا أَيَامًا حَتَّى وَصَلُوا مِصْرَ. وَهُنَاكَ بَاعُوهُ بِسُرْعَةٍ بِسِعْرٍ زَهِيدٍ، وَالذِي اشْتَرَاهُ هُوَ وَزِيرُ المَالِ فِي مِصْرَ.

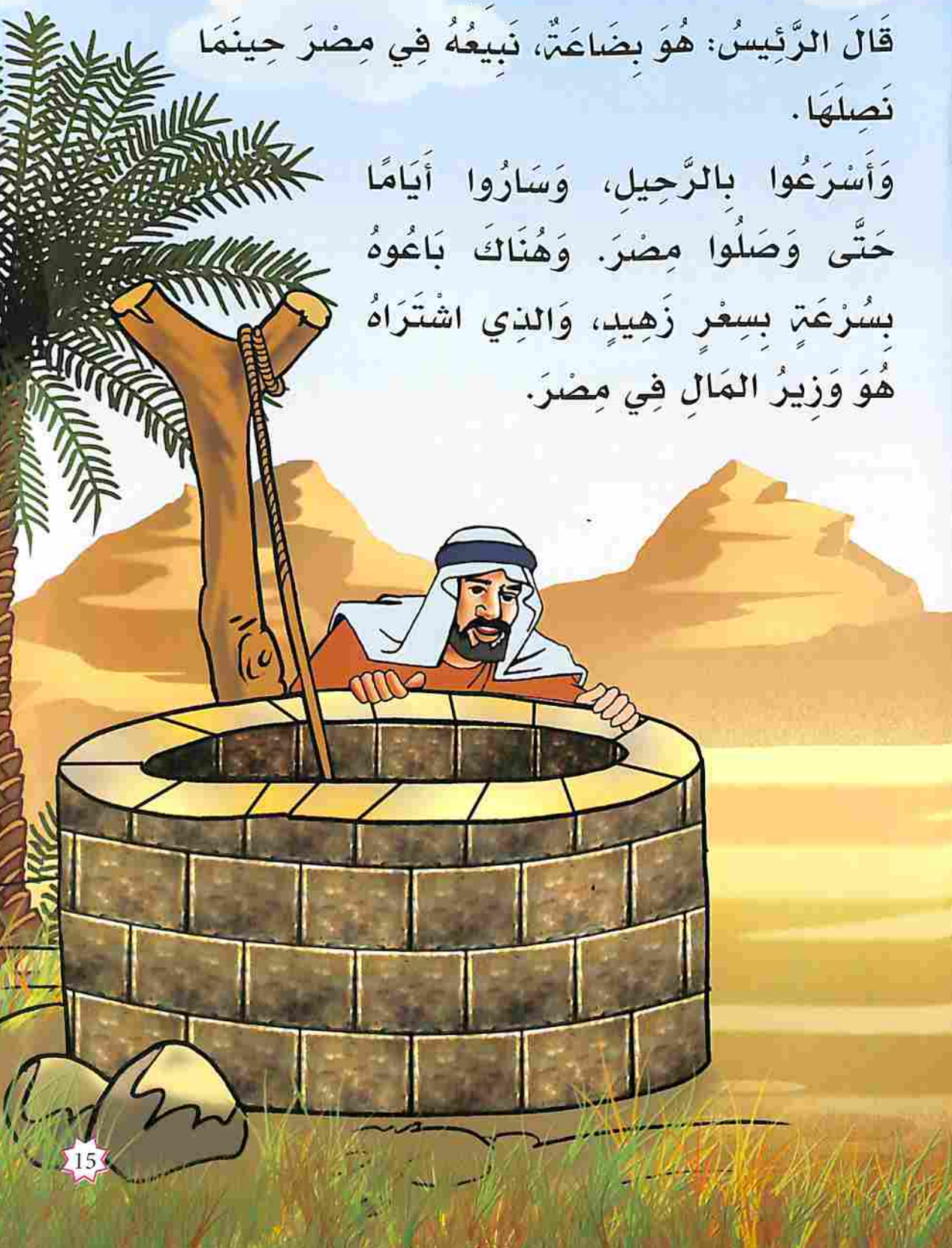

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- :

« أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ » رواه الإمام أحمد وهو صحيح

شطر : أيْ نِصْفَ.

المركز العربي الحديث
103شارع الامام علي ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com